ما الذى يراه المازنى . يرى آثار الانسان أو العظام التى تتحدى الزمان . وتكاد تعطى للرؤية بعض القدرة على التماسك والانتظام . ولنلاحظ مرة أخرى المفارقة أو الفكاهة بين الرؤية والنفس المملوءة بالظلام . وربما نقول إن هذه المفارقة رؤية وافدة على الشعر العربى . الرؤية تعبث بظلام النفس . وظلام النفس يعبث بالرؤية . وثمة تنافر بينهما ، ولكن الشاعر حريص على الموقفين . ويبدو كلا الموقفين ضروريا لصاحبه ، وتبدو عناية المازنى مصروفة الى خلق جدل بين مظاهر التناقض .

قد تدهش للريح التى تضرب الدار بعد أن خلت . ولكن هذه مفارقة أخرى بين عداوة الريح وصداقتها . وربما اجتذبت العظام والظلام الريح . وربما لايكون ثم فرق أساسى بين الريح وأحد معنيى الظلام . وربما تكون الريح والظلام جزأين متكاملين يعبران عن النمو الذى لايعرف حركة الذهن البطيئة . وتشتبه قسوة الريح بقدرتها على إثارة الانبثاق والوثبات .

وشاء الشاعر أن يوسع على نفسه مشاهد القيامة ، فاصطنع الريح والبحر وعلو الأمواج ، والتقاء الهضاب بالهضاب . كل هذا نذير هلاك ونذير بعث أو نشور .

ولكن قصة هذا النشور قصة شاقة الملامح ، فصوت الإنسان إذا أطلق فى الدار رجع اليه مرة أخرى . فهل كان الانسان لا يرى ولا يسمع إلا نفسه ؟ أم هل كان محتاجا الى أن يغير من صوته حتى ينفذ فى أعماق الدار ، ويرجع اليه بالصلة والجواب ؟ إن عالما موحشا لايرجع للانسان جوابا لهو عدوه . ولكن هذا الصوت نشيط ملول ، وفى وسعه بفضل النشاط والإملال أن يعود للإنسان بما يريده الإنسان .

ولا استطيع أن أقاوم جاذبية الصورة فى قول المازنى :

تثب الأصداء عنها مثلما　　طارت العقبان طيرا عن عقاب

وربما اضطرت مراتب من الوجود الى أن تترك الدار وحيدة ، وأن تثب عنها ، ولكن هل بدت القدرة على الصعود الى السماء أقل شأنا من الثبات فوق الأرض ، والتعرض لنوازل الغيب ؟ لأمر ما استطاعت هذه الدار (التى خلت واستوحشت) أن تثير الذعر فى أنفس العقبان . هذا يدل على أن صوت الإنسان استطاع أن يقهر ما لايريد أن يدخل فى حوزته . وربما تلاحظ أن العقبان بوجه ما تفسد على الدار وحشتها